

أضواء البيان

. @ 308

وقيل أطواراً : اختلافهم في الأخلاق والأفعال . قاله القرطبي . .
ولكن كما قدم الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه . أنه إذا تعددت الأقوال في الآية وكان فيها قرينة دالة على أحد الأقوال فإنه يبينه ، وهنا قرينة في الآية على أن المراد هو الأول وإن كان الجميع صحيحاً ، والقرينة هي أن الآية في قضية الخلق وهو الإيجاد الأول ، لأن ما بعد الإيجاد صفات عارضة . .

وقد جاء نظير الآية في سورة المؤمنون كما قدمنا ، وقد ذيلت بقوله تعالى : { فَتَدْبَارُكَ اللَّهِ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } . .
ومنها أن الآية سبقت في الدلالة على قدرة الله على بعثهم بعد موتهم لمجازاتهم ، فكان الأنسب بها أن يكون متعلقها كمال الخلقة والقدرة على الإيجاد . .

والأنسب لهذا المعنى هو خلقهم من نطفة أمشاج وماء مهين ، ثم تطويرها إلى علقه ، ثم تطويع العلقه مضغة ، ثم خلق المضغة عظاماً ، ثم كسو العظام لحماً . ثم نشأته نشأة أخرى . .

إنها قدرة باهرة وسلطة قاهرة . .
ومثله في الواقعة : { أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تُمْدُدُّونَ أَعْنَئْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ } . .
وفي الطور في أصل الخلقة : { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ } . .

إن أصل الخلقة والإيجاد وهو أقوى دليل على القدرة ، وهو الذي يجاب به على الكفرة ، كما في قوله تعالى : { قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَّا أَكْفَرَهُ } ثم قال : { مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ } ذلك كله دليل على أن المراد بالأطوار في الآية ، هو ما جاء عن ابن عباس المشتملة عليه سورة المؤمنون . .
تنبيه .

إن بيان أطوار خلق الإنسان على النحو المتقدم أقوى في انتزاع الاعتراف بقدرة الله